الكركدن المحاصر
دراسة حول توفيق صايغ

الدكتور عيسى بلاطه

يوم الاحد الواقع في الثالث من كانون الثاني عام ١٩٧١ كان توفيق صايغ في طريق عودته الى منزله في تمام العاشرة مساء من حفلة عشاء في منزل أحد زملائه في بيركلي من اعمال ولاية كاليفورنيه الاميركية . وما أن استقل المصعد الى شقته حتى فاجأه الموت داخله . وحين فتح باب المصعد صرخت فتاتان كانتا تنتظران المصعد فور مشاهدتهما توفيق وهو جالس بلا حراك وعيناه تلمعان وتعلو وجهه ابتسامة كأنه في نشوة الابتهاج . وتبع ذلك كله حركة غير عادية نقل على أثرها جثمان توفيق الى شقته ثم اعلن نبأ وفاته للعالم عبر وكالة اليونايتد برس انترناشيونال على النحو التالي :

« بيركلي ، كاليفورنيه ي. ب. ا. وجد توفيق صايغ ، وهو شاعر عربي مرموق ومحاضر في جامعة كاليفورنيه ورئيس تحرير مجلة « حوار » سابقا ، ميتا في شقته ليلة الاحد هنا ، وكان في السابعة والاربعين من عمره . وقد اعلن مكتب التحقيق في الوفيات ان وفاته كانت نتيجة ذبحة قلبية » .

ولد توفيق في اليوم الرابع عشر من كانون الاول من العام ١٩٢٣ في قرية خربة في حوران ، جنوب سوريه . ثم انتقلت اسرته الى فلسطين قبل أن يبلغ الثانية من عمره حيث حصلت على الجنسية الفلسطينية وكانت فلسطين انذاك في ظل الانتداب البريطاني. أما والده عبدالله فقد ولد في خربة الشعار قرب دمشق نحو العام ١٨٨٥ وتلقى علومه في مدرسة الفنون الانجيلية في صيدا . وولدت والدته عفيفة البتروني في العام ١٨٩٣ في البصة في شمالي فلسطين ودرست في المدرسة التي درس فيها زوجها . وفي العام ١٩١٥ تزوج عبدالله من عفيفة . وكرس عبدالله قسيسا مشيخيا في العام ١٩٢٣ بعد تخرجه من كلية اللاهوت في القدس . وعاشا في البصة ثم رحلا الى طبرية في منطقة الجليل(١).

نشأ توفيق وترعرع بين اشقاء خمسة وشقيقة واحدة وكان طفلا حساسا منطويا على ذاته . تلقى علومه الابتدائية في طبرية ثم تخرج من الكلية العربية في القدس بدبلوم المترك الفلسطينية في العام ١٩٤٢ وانتقل بعد ذلك الى الجامعة الاميركية في بيروت حيث درس الادب العربي والانكليزي . وتخرج بدرجة بكالوريوس في الاداب في العام ١٩٤٦ ليعود في السنة ذاتها الى فلسطين حيث درّس في القدس خلال السنة الدراسية ١٩٤٦ — ١٩٤٧ . وفي هذه السنة كان الانتداب البريطاني على فلسطين يقارب على الانتهاء وبدأت الفوضى في الانتشار في البلاد عندما كان العرب واليهود يستعدون لانسحاب بريطانية من البلاد في أيار من العام ١٩٤٨ . وبدأ القتال بين الطرفين حتى قبل مغادرة القوات البريطانية البلاد واخذ المدنيون العرب غير المسلحين يبتعدون عن مسارح القتال ويهجّرون بالقوة عن بيوتهم. وغادر توفيق القدس عائدا الى منزل والديه في طبرية